بعض وجوه الاصلاح الزراعى فى مصر[1]

لحضرة صاحب العزة حسين عنان بك وكيل وزارة الزراعة

الزراعة فى مصر أقدم صناعة فيها وكانت على الدوام وستظل دائماً العمل الرئيسى لسكانها . ولذلك فليس من الغريب أن نرى البلاد متقدمة فى الزراعة وهذا التقدم لا يرجع فقط إلى خصب تربتها الطبيعى وكفاية مياه الرى ومناخها المعتدل بل يرجع فوق كل هذه العوامل إلى نشاط وخبرة فلاحها الذى تلقى أصول الزراعة عن آبائه وأجداده منذ أجيال عديدة . فالمحراث البلدى البسيط الذى يستعمله الفلاح فى الوقت الحاضر آلة بدائية ولا يكاد يختلف عن المحراث الذى كان يستعمل منذ عصر الفراعنة ومع ذلك فإنه يؤدى إلى الآن مأموريته بحالة مرضية . حقيقة أنه لا يقلب التربة ولكن كثيراً من أحدث الباحثين قد وصلوا فى هذا الشأن إلى استنتاج أنه يجب عدم قلب الأرض وأن السماد وبقايا النباتات يجب أن تتحلل فى الطبقة السطحية من التربة كما كان يحدث دائماً فى الطبيعة . وقد كان للكتاب المثير الذى وضعه الزراعى الأمريكى (Ed. Faulkner) بعنوان (Plowman's Folly) هزة كبيرة حيث ذهب فيه إلى وجوب إلغاء المحراث العريض لأنه فى رأيه يتلف التربة إذ يتركها عارية معرضة للانهيار بواسطة الرياح والماء مما يؤدى مع الزمن إلى القضاء على طبقتها السطحية ويقترح أن يستبدل بهذا المحراث العريض محراث الـ (Cultivator) وما هو إلا محراثنا البلدى البسيط .

وقد وقع لسنوات طويلة واجب تحسين الزراعة فى البلاد على كاهل الزراع

---

(١) ألقيت فى المؤتمر الزراعى للشرق الأوسط الذى عقد بالقاهرة فى المدة من ٧ — ١٠ فبراير سنة ١٩٤٤

العمليين مع تلقيهم شيئاً من المساعدة من بعض الحكام وعلى الأخص فى ناحية إدخال بعض الحاصلات والنباتات الأجنبية . ففى أواسط القرن الماضى بدأت الأبحاث العلميـة قسطها للزراعة وبادر المغفور له محمد على باشا رأس الأسرة الملكية بالإفادة من تلك الأبحاث . وأوفد المصريين فى بعثات لدراسة العلوم الزراعية فى الجامعات الأوربية وأنشأ فى مصر مدرسة الزراعة واستخدم عدداً من خبراء الأجانب فى تربية الماشية والنباتات والعلوم البيطرية والآلات الزراعية على أنه لم يمكن مع ذلك إقناع الفلاح بطرق الفلاحة الحديثة فكانت جهود هؤلاء الخبراء قليـلة الثمرة . إلا أن محمد على باشا أصاب نجاحاً فى تحسينين عظيمين وهما إدخال زراعة القطن فى مصر وقد دعمهـا بتعيين خبراء للإشراف على زراعته كما شيد القناطر الخيرية على دلتا النيل وبذلك حول طريقة رى الحياض بهـا إلى طريقة الرى المستديم مما جعل من الممكن زراعة أكثر من محصول واحد سنويا فى نفس الأرض .

وفى نهاية القرن الماضى بدأت الأبحاث الزراعية الفنيـة تستقر على أسس ثابتة . فأنشئت محطة تجارب الجيزة عام ١٨٩٨ كما بدأ تعاون مدرسة الزراعة والجمعية الزراعية الملكية فى تجارب وأبحاث على الأسمـدة الكيماوية أدت إلى استيرادها والتوسع فى استعمالها . ثم أنشئت عام ١٩١٠ مصلحة الزراعة وحولت عام ١٩١٣ إلى وزارة . وقد تمكنت أقسام الوزارة المختلفة من إدخال تحسينات زراعية واسعة لا يسمح لى الوقت بإيراد تفصـيلات عن أعمال كل قسم منهـا ولكنى أكتفى بالإشارة إلى بعض نتائجها الهامة .

ظل اسـتنباط أصناف محسنة من القطن عملية ارتجالية تجرى حيثما اتفق إلى أن وضعت لها الوزارة سياسة منظمة تستند إلى طرق التربية الفنيـة التى تحتاج إلى جهود دقيقـة فى أعمال الانتخاب والتهجين واختبار المحصـول واختبارات غزل التيلة وأعمال مقاومة مرض الذبول وإكثار الأصناف المحسنة وغير ذلك من العمليات الأخرى . وقد أدت هذه الجهود المتواصلة إلى تحسينات

مطردة فى محصـول القطن وصنفه . وصار من المستطاع الآن تقدير ثمن أى صنف جديد من القطن بالنسـبة للأصناف الحالية عن طريق اختبار صفات غزله فى محطة اختبارات الغزل بالجيزة .

وتسير طريقة استنباط أصناف محسنة من القطن جنباً إلى جنب مع طريقة دائمة لتجديد بزور تقاوى الأصـناف التى تلزم للزراعة ومراقبتها مراقبة عامة وذلك بفحص بزور التقاوى من نواحى نقاوتها وقوة إنباتها وما إلى ذلك قبل التصريح ببيعهـا كتقاو . وفى نفس الوقت تواصل الوزارة إنتاج مقادير من تقاوى النواه لمختلف الأصناف تحت إشراف دقيق وهكذا يؤدى نظام تجديد بزور النواه إلى تجديد مقادير البزور المستعملة فى الزراعة ، وأعتقد أن هذا النظام الدقيق الفعال لرفع مستوى بزور الزراعة لا مثيل له فى أى بلد آخر .

أما مقاومة الآفات فتستنفد جهوداً وأموالا كثيرة . فقد أدخلت تحسينات على طريقة الحجر الزراعى كوسيلة لمنع دخول الآفات التى قد توجد مع السلع المستوردة وأنشأنا فى الموانى الرئيسية مخازن على أحدث طراز تدخن فيها السلع المستوردة للقضاء على ما قد يوجد بها من آفات . ولقـد كانت دودة اللوز القرنفلية التى دخلت مصر منذ عام ١٩١١ عاملا رئيسيا فى تدهور محصول القطن حتى عام ١٩١٨ ثم كان أن بدأت الوزارة تستنبط أصـنافاً من القطن مبكرة النضج وافرة المحصـول واستحدثت طريقـة تضييق مسافات الزراعة ومعالجة بزور القطن فى المحالج بالهواء الساخن لقتل ما قد يوجد فيها من ديدان هذه الآفة وانتهت هذه الجهود إلى زيادة مطردة فى محصول القطن حتى علا هذا المحصـول على مستواه العالى فى عام ١٩١٥ . وتوجه سنويا حملات شـديدة لمقاومة دودة ورق القطن والحشرة القشرية التى تصيب أشجار الموالح مما يستنفد أموالا طائلة ولكن نتائجها فعالة . وتعالج الآفات الأخرى والأمراض النباتية طبقاً لبرنامج موضوع مع اختلاف فى النتائج .

وقد حصلنا على نتائج طيبة فيما يختص بتحسين الفاكهة والخضر ونباتات

الزينة وكذلك فى فلاحة البساتين والصناعات الزراعية بصفة عامة . أما تحسين الماشية والدواجن فقد بدأ متأخراً ولكنه سريع الخطوات ومطرد التقدم . فمن ناحيـة علاج أمراضها حصلنا على تقدم كبير وصار حقن الماشية إجباريا ضد بعض الأمراض المعدية . ولا يزال تحت البحث مشروع التأمين الإجبارى على الماشية وعلاجها مجاناً .

بعد استعراض هذه الجهود تبقى مسألة هامة تحتاج إلى حل وهى أن أبحاثنا وصلت إلى نتائج قيمة يجب أن نوصلها إلى كل فلاح فى الأسلوب الذى يفهمه ويسيغه حتى نضمن تعميم تطبيق تلك النتائج . وقد وضع لذلك برنامج شامل فعال ويتطلب بضعة ملايين من الجنيهات وأرى أنه كفيل بتحقيق هذا الغرض وأعتقد أنه سيأخذ دوره فى التنفيذ فى القريب العاجل .

ذلك أنه سينشأ فى كل ١٥٠٠٠ فدان مجموعة زراعية تشمل وحدتين إحداها زراعية والثانية بيطرية .

وسيدير الوحدة الزراعية مهندس زراعى يساعده بضعة معاونين يقيمون جميعاً فى الوحدة التى تحتوى على :

(١) مزرعة نموذجيـة صغيرة تنتج أصناف الحاصلات التى تلائم المنطقة وتزرع بزور محسنة وعلى أحدث الأساليب الزراعية .

(٢) مشتل لإنتاج أشجار الفاكهة وبزور الخضر وتمرين الزراع على أعمال فلاحة البساتين .

(٣) مصنع صغير للصناعات الزراعية التى تلائم المنطقة وذلك بقصد الوصول إلى تقدم تلك الصناعات .

(٤) حظيرة تحتوى على سلالات الماشية المحسنة لاستعمالها طلايق فى المنطقة .

(٥) مزرعة دواجن لإنتـاج سلالات محسنة منهـا وإرشاد الزراع إلى طرق تربيتها .

أما الوحدة البيطرية فيديرها مع بضعة مساعدين طبيب بيطرى مقيم للاشراف على الأسواق وجميع شئون الحيوانات فى الوحدة وتحتوى على :

(١) مستشفى للحيوانات لمعالجة الأمراض مجاناً وحقنها ضد الأمراض المعدية ومعزل تحفظ فيه الحيوانات المريضة بالأمراض المعدية .

(٢) مجزر (سلخانة) لذبح الماشية والتفتيش على اللحوم قبل بيعها .

(٣) مطمر لدفن الحيوانات النافقة وبقايا المجازر وبقايا النباتات لتحويلها جميعاً بطريقة صحية لأسمدة عضوية .

وعلاوة على هاتين الوحدتين سيكون بالمجموعة صالة لاجتماع الزراع بموظفى الوحدة للمناقشة فى المسائل الزراعية .

وسيكون لكل مجموعة مجلس زراعى مكون من ممثلى المنطقة لتوجيه السياسة التى تسير عليها المجموعة ، والتعبير عن آراء ووجهات نظر الزراع فى الموضوعات الزراعية ، وإقامة معارض ومباريات زراعية وتنظيم الاجتماعات والمؤتمرات والمساعدة فى إقامة صوامع لخزن الحبوب ومخازن للتبريد وغير ذلك من المنشآت الزراعية .

والأمل كبير فى أن تكفل هذه المجموعات الزراعية تقريب اتصال وزارة الزراعة بالفلاح مما لا غنى عنه لتقدم الزراعة فى مصر .